

الأمام الحسين

ظالم أم مظلوم

بقلم / محمد نبيل أبو دبش

الإيميل الرسمي للكاتب والمؤلف: Mhmd.nabil@yahoo.com

مقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اصطفى من عباده رجالًا جعلهم مناراتٍ للهدى، وأعلامًا للحق، وحججًا على خلقه بالعلم، والصبر، واليقين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خاتم النبيين، الرحمة المهداة، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، وعلى الخيرة من أصحابه البررة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فهذه ليست صفحاتٍ تُقرأ... بل مجس وحوارات تُعاش وليست كلماتٍ تُحفظ... بل مواقفُ تُوزن بها النفوس.

فإذا دخلتها، فاخلع عن قلبك رداء التعصب، وضع بين يديك القرآن، وأطلق لعقلك سلطان البرهان، فإن الحق لا يضره السؤال، ولا يخشاه الصادقون . . .

إننا لا نقف اليوم بين يدي ملكٍ من ملوك الدنيا...

ولا قائدٍ من قادة الحروب...

ولا خطيبٍ من خطباء السياسة...

بل نقف بين يدي رجلٍ نشأ في بيت النبوة، وتربى في حجر الرسالة، وارتضع من معين الوحي، وجلس بين يدي محمد ﷺ طفلًا، وبين يدي عليٍّ عالمًا، وفي كنف فاطمة طهرًا ورحمةً، فاجتمع له من شرف النسب، ونور التربية، وكمال الخلق، ما لم يجتمع لغيره إلا قليل.

نقف بين يدي الامام الحسين بن علي علية التحية والسلام. . .

ريحانة رسول الله ﷺ··· وسيدٍ من سادة شباب أهل الجنة...

وعالمٍ من علماء آل محمد... ومفسرٍ لكتاب الله... ومحدثٍ عن جده... وفقيهٍ شهد له عصره... ورجلٍ لم يكن عظيمًا لأنه استشهد... بل استشهد لأنه كان عظيمًا.

لقد اختلف الناس في كربلاء... واختلفوا في السياسة... واختلفوا في التاريخ...

ولكنهم لم يختلفوا في أن الحسين صفحةٌ لا يمكن أن تُمحى من تاريخ الإسلام.

فاختلف قومٌ حتى غلوا...واختلف آخرون حتى جفوا... وضاع بين الغلو والجفاء صوت الحسين نفسه.

فهذا يروي كربلاء بعاطفته... وذاك يقرأها بعداوته... وقليلٌ من جلس يسمع الحسين يتكلم.

وهذه المحاورات ... ليست محاكمةً لأحد... ولا انتصارًا لمذهب... ولا خصومةً مع طائفة...

وإنما هي محاولةٌ لأن نجلس جميعًا في رحاب سبط رسول الله ﷺ، فنتركه يجيب عن الأسئلة التي شغلت الأمة أربعة عشر قرنًا.

ماذا أراد الحسين؟ ولماذا خرج؟ ولماذا رفض البيعة؟ وهل كان طالب سلطان؟

وهل انتصر أم هُزم؟ ولماذا اصطحب نساءه وأطفاله؟ وماذا بقي من كربلاء بعد انقضاء عاشوراء؟

وما رسالته إلى محبيه؟ وما رسالته إلى مخالفيه؟ وما رسالته إلى الأمة كلها؟

تنويه – ليعلم القارئ الكريم...

أن هذا المجلس ليس نقلًا حرفيًا عن الإمام، ولا دعوى لرؤيا يُحتج بها، ولا روايةً تاريخيةً جديدة.

وإنما هي بناءٌ أدبي، استُلهم من القرآن العظيم، ومن السنة الصحيحة، ومن الكلمات الثابتة عن الإمام الحسين، ومن سيرته التي حفظها الأمناء، ليكون الحوار أقرب إلى روحه، وأوفى بمقصده، وأبعد عن التعصب والغلو.

فإن وجدت فيها كلمةً تُحيي في قلبك حب العدل... فاعلم أنها من نور الحسين.

وإن وجدت فيها دعوةً إلى الإصلاح... فاعلم أنها من طريق الحسين.

وإن وجدت فيها تعظيمًا للقرآن، ولسنة جده، ولأهل بيته ولجماعة المسلمين...

فاعلم أن تلك كانت رسالة الأمام الحسين . . .

أما إن خرجت منها وفي قلبك خصومةٌ جديدة... فما قرأت الحسين... ولا جلست في مجلسه.

فادخل الآن... على سكينة القلب... وطهارة النية... وأدب الطالب بين يدي العالم...

فلعل الله أن يجعل لك من هذا المجلس نورًا، كما جعل للحسين نورًا لا ينطفئ، وكلمةً لا تموت، وذكرًا يبقى ما بقي في الأرض من يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

في البداية . . . سأقرؤه عليكم ليس روايةً تاريخية، ولا حديثاً مرويًا، ولا دعوى رؤيةٍ يُحتج بها في دين الله، وإنما هي رحلة وجدانية، صاغها قلبٌ امتلأ حزنًا على حال أمةٍ اختلفت في رجالٍ بذلوا أنفسهم لله، حتى غاب عن كثير من الناس قدرهم، وغابت عن آخرين رسالتهم.

كان ذلك مساء يوم الخميس... وما زلت أذكره كأنه الساعة.

كنت في عملي، أقلب بعض المقاطع على شبكة الإنترنت، حتى وقعت عيناي على رجلٍ يتحدث عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام. لم يكن يخالفه بالحجة... ولم يناقشه بالعلم...

بل كان يتحدث عن سبط رسول الله ﷺ بغلظة، ويتناول سيرته بجفاء، ويجترئ على مقامٍ عظّمه رسول الله ﷺ بقوله: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا.

كانت الكلمات تقع على قلبي قبل أذني وكلما مضى في حديثه... ازداد ألمي.

لا لأن الحسين يحتاج إلى من يدافع عنه... فمكانته عند الله لا تنقصها كلمة، ولا يرفعها مدح بشر.

ولكن لأن أمة محمد ﷺ بلغت بها الخصومة أن نسيت أدبها مع آل بيت نبيها، ومع تاريخها، ومع رجالٍ باعوا دنياهم ابتغاء مرضاة الله.

خرجت من عملي، وأنا أحمل في صدري غصةً لا تفارقني وعدت إلى بيتي... فهيأت لي زوجتي الطعام بمحبتها المعهودة لكنني لم أستطع أن أمد يدي إليه لم يكن بي جوع... بل كان بي وجع.

وجعُ أمةٍ ما عرفت قدر رجالها وجعُ أمةٍ تتخاصم في أسمائهم، أكثر مما تتبع منهجهم.

فقمت، فتوضأت وصليت ما شاء الله لي أن أصلي ثم طال سجودي، وكثرت دموعي.

ولم يكن بكائي على رجلٍ مضى إلى ربه قبل قرون... بل كان بكائي على أمةٍ ما زالت تختلف حول من ضحى لأجلها. ثم أويت إلى فراشي مبكرًا، على غير عادتي... وقد امتلأ قلبي بالدعاء أن يريني الله الحق حقًا، وأن يجعلني من أهله.

وهناك... بدأت الرحلة . . . رأيت نفسي في أرضٍ فسيحة، يكسوها خضارٌ لم تقع عليه عيناي من قبل.

سماءٌ صافية، يملؤها السكون ونسيمٌ يحمل طمأنينةً لا تشبه طمأنينة الدنيا.

ورأيتني أرتدي جلبابًا أبيض، قد نُسجت أطرافه بخيوط من ذهب، وعلى رأسي عمامة خضراء بهية، تتوسطها جوهرة ياقوتية حمراء تشع نورًا، وقد نُقش عليها قول الله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه من اجر إلا المودة في القربي﴾. ثم لمحت طيورًا بيضاء تحلق في سكينة، وكأن المكان كله يسبح بحمد الله.

وفجأة... امتلأت تلك الأرض بالناس وجوهٌ يعلوها الوقار والسكينة ورأيت أعينٌ يملؤها الشوق وأعين يملأها الريبة. ثم نصب مجلسًا عظيمًا، مهيبًا، كأن المهابة قد اتخذت له صورة.

وسمعت مناديًا يقول" :قوموا... فقد حضر سيد شباب أهل الجنة ".

فساد صمتٌ لم أعرف له مثيلًا واتجهت الأبصار جميعها نحو ذلك المجلس.

فرأيت رجلًا مهيبًا، تعلو وجهه سكينة الأنبياء، ويكسوه حزن الصادقين لحيته كريمة وهيبته تملأ المكان.

ولم أسمع أحدًا يناديه باسمه... بل كانوا يقولون" :هذا الأمام "... فارتجف قلبي.

وشعرت أن قدمي لا تقويان على حملي.

فتراجعت إلى طرف المجلس، وجلست في آخر الصفوف، لا أملك إلا الصمت.

لم أجرؤ على الكلام... ولم أملك إلا أن أستمع.

وكان كل ما أرجوه... أن أفهم ماذا سيحدث وأن أعرف الحقيقة... لا أن أغلب أحدًا.

وهنا··· بدأ الإمام يتحدث.

وهنا··· بدأ هذا المجلس وهذه المحاور.

بسم الله الرحمن الرحيم في حضرة سيد شباب أهل الجنة ... لا تُغلَق الأبواب.

لمّا اجتمع الناس حول الإمام الحسين عليه السلام، لم يكن مجلسُه مجلسَ سلطانٍ تُمنع فيه الأسئلة، ولا مجلسَ خطيبٍ يطلب التصفيق، ولا مجلسَ شيخٍ يطلب التسليم قبل الفهم؛ بل كان مجلسًا تُعرض فيه القلوب كما تُعرض الأقوال، ويُؤذَن فيه للعقول أن تسأل، وللنفوس أن تُصارح، وللشبهات أن تُقال بلا خوف فجاء الناس من كل حال:

منهم المؤمن الذي يريد زيادة يقين،

ومنهم الباحث الذي لم يستقر قلبه بعد،

ومنهم المعترض الذي أثقلته الأسئلة،

ومنهم المجادل الذي جاء يختبر،

ومنهم المتردد الذي مزّقته الطرق،

ومنهم من حمل في صدره كلماتٍ قالها الناس حتى ظنها حقًا.

وكان في الوجوه اختلافٌ، وفي المقاصد تباين، غير أن المجلس جمعهم جميعًا تحت حرمة السؤال، وصدق الطلب.

فاستأذنوا الإمام أن لا يكون حديثهم مقيدًا، وأن يسألوه كما بدا لهم، لا يُمنعون من سؤال، ولا يُؤخذ عليهم اعتراض، ولا يُلام أحدٌ على ما في صدره! فأذن لهم الإمام. . .

ثم قال: قولوا ما عندكم، ولا تجعلوا بينكم وبين الحق هيبة الأشخاص، فإن الله لم يجعل النجاة في السكوت، ولا جعل السؤال عيبًا على من أراد الهدى. اسألوا؛ فإنما يُخشى على القلوب إذا كتمت ما فيها، وأما السؤال الصادق فباب من أبواب النور.

فسكن المجلس. . .

وخفتت الأصوات. . .

وصار كل حاضرٍ كأنما ينظر في قلبه قبل أن ينظر إلى الإمام.

وهكذا ابتدأت الحوارات بهذا المجلس المبارك ...

لا مجلسَ خصومةٍ يُراد به الغلب، ولا مجلسَ تقديسٍ يُعطَّل فيه العقل،

بل مجلسَ نورٍ يُسأل فيه أهلُ النور، ويُوزن فيه الكلام بالحق لا بالأسماء.

الحوار الأول

تقدم أحد الحاضرين ورفع يديه للإمام متسائلا ! يا ابن رسول الله... لقد ملأ الناس الدنيا بذكرك حتى صار اسمك يذكر في كل أرض. وإننا نريد أن نسألك سؤالًا لا مجاملة فيه...

عرفنا حقيقتك من أنت يا حسين؟ وماذا قدمت للأمة؟ ولماذا ينبغي للأمة أن تعرف الحسين؟

فساد المجلس سكونٌ مهيب . . .

فنظر الإمام الحسين إليه نظرة الأب الرحيم ثم قال:

الحمد لله الذي جعل الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق.

أما أنا... فلست أدعوكم إلى نفسي... ولا إلى نسبي... ولا إلى دمي... وإنما أدعوكم إلى الله.

فإن رأيتموني على الحق فاتبعوا الحق، وإن وجدتموني على غيره فلا حرمة لاسمٍ يخالف كتاب الله.

ثم قال: أنا الحسين بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ.

نشأت في بيتٍ كانت الملائكة تستأذن على بابه ورباني رسول الله قبل أن يربيني الناس وعلمني أبي أن العلم عبادة، وأن العدل فريضة، وأن الحق لا يُعرف بكثرة أتباعه.

ثم سكت قليلًا، وقال: لا ترفعوني فوق منزلتي... ولا تنقصوني عن حقي.

فإن الله لم يجعلني نبيًا... ولم يجعلني ربًا...ولكنه شرفني بأن أكون من أهل بيت نبيه، وحمّلني أمانة العلم والهدى، كما حملها أبي وأخي.

فقام رجل آخر، وقال: يا ابن رسول الله... يقول كثير من الناس:

إن الحسين لم يقدم للأمة علمًا وإن العلماء الذين جاءوا بعدك أعظم منك علمًا، وأكثر منك فقهًا، وأبقى أثرًا فأين هو علم الحسين؟

فابتسم الإمام، وقال: يا هذا...

إن العلم ليس ما يُكتب في الدفاتر فقط... بل ما يُقيم به الله الحجة على عباده.

لقد عشت مع رسول الله ﷺ، وأنا غلام، أسمع حديثه، وأشهد عبادته، وأرى تنزيل القرآن.

ثم لازمت أبي عليًا، وهو باب مدينة علم رسول الله.

ثم جلست في مسجد جدي، أُحدّث الناس، وأفسر لهم كتاب الله، وأفتي من سألني، وروى عني الحفاظ، وأخذ عني التابعون. أفبعد هذا يقال: أين علم الحسين؟

ثم قال: ولكن اعلموا...

أن العالم ليس بكثرة ما يقول... وإنما بقدر ما يثبت إذا خاف الناس.

فما قيمة علمٍ ينحني لصاحب السلطان؟ وما قيمة فقهٍ يبيع دين الله بعرضٍ من الدنيا؟

إن العالم الذي يعرف الحق ثم يكتمه... أشد خطرًا على الأمة من الجاهل الذي لا يعرفه.

ثم رفع رأسه وقال: لقد كان في المدينة علماء كثيرون... ولكن يوم امتحنهم السلطان... سكت أكثرهم.

أما أنا . . . فرأيت أن السكوت يومئذٍ سيكون خيانةً لكل ما تعلمته من جدي.

فخرجت. . .لا لأنني أعجز عن التعليم. . . بل لأن التعليم قد يأتي يومٌ يحتاج فيه إلى شاهدٍ يصدقه.

فكان دمي هو الشاهد على علمي.

فقال الرجل: ولكن. . . أين كتبك؟ وأين مذهبك؟ وأين تلاميذك؟

فقال الإمام: وهل يُقاس العلم بعدد الكتب؟ لو كان كذلك. . . لكان كل كاتبٍ أعلم من الأنبياء .

إنما يُقاس العلم بصدق صاحبه، وبأثره في الناس.

أما تلاميذي. . . فقد حملوا عني الحديث. وروى عني أئمة الحفظ.

وأما مذهبي. . .فهو الإسلام الذي جاء به جدي لم أبتدع دينًا جديدًا. . . ولم أدعُ الناس إلى نفسي.

وإنما دعوتهم إلى القرآن إذا تُلي، وإلى السنة إذا أُحييت، وإلى العدل إذا ضاع، وإلى الحق إذا حورب.

ثم قال، وقد خيم الصمت على المجلس: لا تسألوا: كم كتب الحسين؟ بل اسألوا: ماذا بقي من الإسلام لو بايع الحسين يزيد ؟ فإن العالم يكتب بالقلم ما دام القلم ينفع. . .فإذا صار القلم أسير السلطان. . .كتب بدمه

وقد كتب الحسين بدمه صفحةً لم تستطع القرون أن تمحوها .

الحوار الثاني

قام رجل، وقد بدت على وجهه علامات الحيرة، وقال: لماذا رفضت يا حسين بيعة يزيد ؟ وهل خرجت وهو أنت تعلم أنك مقتول؟

يا ابن رسول الله... لقد حيَّر الناس أمرك. فمنهم من يقول: إنك خرجت تطلب الخلافة.

ومنهم من يقول: بل خرجت تعلم أنك مقتول. ومنهم من يقول: لقد أخطأت بالخروج. فما الحقيقة؟

ساد المجلس صمتٌ طويل...

فنظر الإمام الحسين إليه، ثم قال: الحمد لله الذي جعل الحق يُعرف بدليله، لا بأهواء الناس.

أما بعد ... فإن الله لم يخلقني طالب سلطان، ولا عاشق ملك، ولو أردت الدنيا لكانت المدينة أوسع لي من الصحراء وألين فراشًا من رمال كربلاء ولكنني رأيت أمرًا لو سكتُّ عنه لسكت التاريخ بعدي عن كل ظالم

فقال الرجل: وما الذي رأيته في يزيد ؟

قال الإمام: رأيت سلطانًا يريد أن يجعل الخلافة ملكًا، والدين خادمًا للملك.

رأيت رجلًا لا يُقاس بمنصبٍ جلس عليه، بل بعمله الذي اشتهر به.

فإذا صار الفسق لا يمنع صاحبه من أن يكون إمام المسلمين... فمن يبقى للدين من هيبة؟

وإذا بايع الحسين يزيد... فمن يجرؤ بعد الحسين أن يرفض ظلمًا ؟

ثم قال: إن بيعتي لم تكن ورقةً أوقعها بيدي... بل كانت شهادةً أوقعها على مستقبل الأمة.

ولو وقعت... لقلت للأجيال كلها: إن الفسق لا يمنع من خلافة رسول الله.

فساد المجلس صمت. . .

ثم قال الرجل: ولكن...أكنت تعلم أنك مقتول؟

فقال الإمام: كنت أعلم أن الطريق محفوفٌ بالموت

ولكن اعلموا... أن العلم بقرب الموت ليس سببًا لترك الواجب.

كم من نبيٍ خرج وهو يعلم أن قومه سيؤذونه وكم من صالحٍ قام لله، وهو يعلم أن الثمن غالٍ.

فهل كان الواجب أن يسكتوا لأنهم عرفوا البلاء؟ ثم رفع بصره إلى السماء وقال:

إن المؤمن لا يسأل أولًا: ماذا سيحدث لي؟ وإنما يسأل: ماذا يريد الله مني؟

فقام شيخ كبير، وقال: يا ابن رسول الله... وهل كانت رسالتك تشبه رسالة الأنبياء؟

فقال الإمام: لا نبي بعد جدي محمد ﷺ. ولكن طريق الحق واحد . ومنهج الصادقين واحد.

فالأنبياء أقاموا الحجة... ونحن مأمورون أن نسير على هداهم.

ثم قال: أما سمعتم قول الله في إبراهيم: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ خرج من وطنه، لا لأنه أحب الغربة...

ولكن لأن العقيدة كانت أغلى من الدار.

ثم قال: وأما زكريا... فقد دعا إلى الله حتى قُتل ظلمًا. فلم يقل أحد: لقد أخطأ لأنه لم يساير أهل الباطل بل قال الله فيه: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا﴾ في شأن ابنه يحيى، وذكر زكريا في الصالحين.

ثم قال: وأما يحيى... فقد قُتل لأنه لم يُحلِّل لحاكمٍ ما حرّم الله. ولم يبدل حكم الله طلبًا للسلامة. فكان رأسه شاهدًا على أن كلمة الحق قد تُقطع معها الرقاب... ولكنها لا تموت.

ثم نظر إلى الحاضرين وقال: فلا تقولوا: لماذا قُتل يحيى؟ بل قولوا: ماذا كشف قتله من فساد القوم؟

ولا تقولوا لماذا ذُبح الحسين؟ بل قولوا ماذا كشف دمه من حقيقة الحكم الذي كان يريد أن يتكلم باسم الإسلام؟

فقال رجل: ولكن··· أليس النبي مأمورًا بحفظ النفس؟

فقال الإمام: بلى. والنفس أمانة. ولكن الله لم يأمر بحفظ النفس على حساب ضياع الدين.

ولو كان حفظ النفس مقدمًا على إقامة الحق بإطلاق...

لما وقف موسى أمام فرعون.

ولما أُلقي إبراهيم في النار.

ولما ثبت أصحاب الأخدود حتى احترقوا.

ولما قال جدي في مكة كلمة التوحيد وهو يعلم ما ينتظره من أذى.

ثم قال: إن الدين لا يحيا بالجبناء... ولا يحفظه الذين يبيعون الحق خوفًا من الموت.

وإنما يحفظه رجالٌ إذا تعارضت سلامتهم مع سلامة الدين... قدموا الدين.

فقام رجل وقال: إذن… لم يكن مقصدك أن تنتصر بالسيف؟

فقال الإمام: لو كان مقصدي الملك... لساومت.

ولو كان مقصدي السلطان... لفاوضت.

ولو كان مقصدي الدنيا ... لبايعت.

ولكن كان مقصدي أن تبقى في الأمة علامةٌ لا يختلط بعدها الحق بالباطل.

أردت أن يعلم الناس أن كل سلطانٍ لا يطيعه الحسين... ليس حجةً على دين الله.

ثم قام الإمام، وقد علت هيبته المجلس، وقال:

لا تجعلوا كربلاء قصة رجلٍ قُتل... بل اجعلوها قصة دينٍ رفض أن يُباع.

فإن إبراهيم لم ينتصر لأنه خرج سالمًا من النار... وإنما لأنه لم يعبدها .

وإن يحيى لم ينتصر لأنه عاش طويلًا ... وإنما لأنه مات صادقًا .

وإن زكريا لم يكن عظيمًا لأنه نجا ... وإنما لأنه لم يبدل.

وكذلك الحسين... لم يكن عظيمًا لأنه استشهد ... وإنما لأنه لم يساوم.

فالكرامة ليست في أن يطول العمر... بل في أن يبقى الحق حيًا إذا انتهى العمر.

الحوار الثالث

قام رجل تبدو عليه الجرأة، وقال: يا ابن رسول الله... لقد سمعنا كثيرًا من الناس يقولون: لو بقي الحسين في المدينة، لكان أنفع للإسلام. ولو بقي يعلم الناس، لكان خيرًا من أن يُقتل.

فماذا استفادت الأمة من خروجك؟ ولماذا اصطحب النساء والأطفال؟

فساد المجلس صمت عظيم ...

ثم قال الإمام الحسين: يا رجل . . .

إنك تنظر إلى يومٍ واحد... وأنا أنظر إلى قرون.

إن العالم يُعلّم الناس ما دام الناس يسمعون.

فإذا صار السلطان هو الذي يفرض على الناس ماذا يسمعون...

أصبح الواجب الأول أن يُكسر سلطان الباطل، لا أن تزداد الدروس.

لقد كان في المدينة علماء...

ولكن هل استطاعوا أن يمنعوا تحويل الخلافة إلى مُلك؟

وهل استطاعوا أن يمنعوا تزيين الفسق باسم الدين؟

إن الأمة يومئذٍ لم تكن بحاجة إلى درسٍ جديد...

بل كانت بحاجة إلى موقفٍ لا يستطيع التاريخ أن ينكره.

ثم قال: قد يكتب العالم كتابًا فيقرؤه ألف رجل...

ولكن الرجل الصادق قد يصنع موقفًا يوقظ أمةً بأكملها .

وإن الله شاء أن يكون دمي كتابًا مفتوحًا لكل جيل.

فقال الرجل: ولكن... لقد قُتلت... وبقي يزيد بل اتسعت دولته بعدك، فأين النصر؟

فقال الإمام: إنك تقيس النصر بالأيام... والله يقيسه بالحق.

كم من ملكٍ ملأ الأرض جندًا... فلم يبق من اسمه إلا لعنة.

وكم من شهيدٍ لم يملك إلا ثوبه... فملك القلوب إلى يوم القيامة.

أخبرني... أين قصور بني أمية؟ وأين سيوفهم؟ وأين جنودهم؟ وأين سلطانهم؟

ثم أخبرني... لماذا لا يزال الناس يذكرون الحسين إذا ذُكر الظلم؟

ذلك لأن الدول تعيش ما شاء الله لها... أما المبادئ فتبقى ما بقي الإنسان.

فقام آخر وقال: ولكن... لو بايعت يزيد...ألم تكن ستمنع سفك الدماء؟

فقال الإمام: وهل كل دمٍ يُترك حقنًا له يكون نجاة؟

لو أن كل صالحٍ بايع كل ظالمٍ لئلا تسيل الدماء... لما بقي في الأرض من يقول: هذا ظلم.

إن الدم الذي سال في كربلاء... منع أنهارًا من الدماء الفكرية التي كانت ستغرق الأمة لو صار يزيد مثال الخليفة الشرعي. لقد كان ثمن يومٍ واحد... حفظ ضمير أمة.

ثم قال: إن الطبيب قد يقطع عضوًا لينقذ الجسد .

فلا يقول عاقل: لقد أفسد الجسد . بل يقول: لقد أنقذه. وكذلك كانت كربلاء .

ثم قام رجل آخر وقال: يا ابن رسول الله...يقولون: لقد أخطأت... فقد عرضت أهل بيتك للخطر.

وكان ينبغي أن تخرج وحدك إذا عزمت بالخروج.

فقال الإمام: لو كانت كربلاء معركة سيوف فقط... لخرج الرجال وحدهم، ولكنها كانت معركة وعي.

والسيف ينتهي أثره إذا غمد... أما الكلمة الصادقة... فإنها تبقى ما بقي الزمان.

ثم قال: أراد القوم أن يقتلوا الحقيقة مع أصحابها .

فأراد الله أن يجعل للحقيقة شهودًا لا يستطيع السلطان إسكاتهم.

فكانت زينب... وكان علي بن الحسين.

فما انتهت كربلاء عند غروب عاشوراء...

وإنما بدأت رسالتها بعد عاشوراء .

فقام رجل آخر، وقال بصوتٍ مرتفع: ولكن... ما ذنب النساء ؟

فقال الإمام: ما خرجت النساء لحمل السيوف... وإنما خرجن لحمل الأمانة.

إن الله جعل لموسى أمًّا تحفظه.

وجعل لمريم رسالةً تبلغها بصبرها .

وجعل في كل دعوةٍ صادقة رجالًا ونساءً يشهدون للحق .

وكانت زينب شاهدتي على كربلاء .

ولو بقيت في المدينة... لكتب الظالمون القصة كما أرادوا .

ثم قام شيخ كبير، وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وقال: يا ابن رسول الله... وماذا عن الأطفال؟ أي ذنبٍ اقترفوه؟

فسكت الإمام طويلًا...

ثم قال: والله... ما حملت طفلًا إلى حرب.

ولا دعوت رضيعًا إلى قتال.

وإنما حملت أهلي كما يحمل كل مسافرٍ أهله.

وكنت أرجو أن يستحيي القوم من رسول الله في ذريته.

ولكنهم لم يستحيوا .

فلا تجعلوا جريمة القاتل تهمةً للمقتول.

ثم قال: سلوا من منع الماء عن الرضيع... ولا تسألوا أباه لماذا حمله.

سلوا من رمى السهم... ولا تسألوا من كان يطلب قطرة ماء .

إن البراءة لا تُسأل لماذا قُتلت... وإنما يُسأل الظالم لماذا قتل.

ثم قال: لقد أراد الله أن يرى الناس إلى أي حدٍ يبلغ الظلم إذا استولى على القلوب.

حتى إذا سمعوا أن طفلًا قُتل عطشانًا...

علموا أن القضية لم تكن نزاعًا على الحكم...

بل كانت سقوطًا أخلاقيًا بلغ منتهاه.

فقام رجل وقال: وهل ندمت يا ابن رسول الله؟

فابتسم الإمام ابتسامة الواثق بالله، وقال: يندم من باع دينه.

أما من باع نفسه لله... فلا يعرف الندم.

والله لو عادت الأيام كما كانت... ورأيت يزيد كما رأيته...

لقلت كما قلت ولفعلت كما فعلت.

فإن الموت مرة... وأما الذل... فيتجرعه الإنسان كل يوم.

ثم وقف الإمام وقال: لا تجعلوا دم الحسين سببًا لفرقة الأمة... بل اجعلوه سببًا لاجتماعها على الحق.

ولا تجعلوا كربلاء موسم بكاءٍ فقط... بل مدرسة ضمير.

فإذا رأيتم سلطانًا يريد أن يجعل الدين وسيلةً لظلمه... فتذكروا كربلاء.

وإذا رأيتم عالمًا يبيع علمه خوفًا أو طمعًا... فتذكروا كربلاء.

وإذا رأيتم أنفسكم تسكتون عن الحق لأن الباطل قوي...

فتذكروا أن الله لا يسأل يوم القيامة: كم بقيتم أحياء ؟

وإنما يسأل: مع من وقفتم؟

ولأي شيء عشتم؟

وعلى أي شيء لقيتم ربكم؟

الحوار الرابع

وقف رجل تبدو عليه آثار طلب العلم، وقال: يا ابن رسول الله...

لقد سمعنا من يقول: إن النبي ﷺ أمر بطاعة ولي الأمر وإن الخروج على الحاكم فتنة !

فكيف خرجت؟ أليس الخروج على الحاكم فتنة؟ ولماذا صالح الحسن وخرج الحسين؟

فنظر الإمام الحسين إليه، وقال: إن طاعة الله أصلٌ... وطاعة رسوله تبعٌ لها ...

وطاعة أولي الأمر فرعٌ لا يقوم إلا عليهما ، فليس في الإسلام طاعةٌ تُبطل طاعة الله.

ولا بيعةٌ تُسقط حدود الله، ولا سلطانٌ يملك أن يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرمه.

ثم قال: إن الله يقول: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

فجعل الطاعة لله أولًا ، ثم لرسوله، ثم لأولي الأمر.

فإذا دعاك ولي الأمر إلى معصية الله... فقد سقطت طاعته في تلك المعصية.

وقد قال جدي ﷺ: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فسكت الرجل ثم قال: ولكن... أليس يزيد ولي أمر؟

فقال الإمام: إن المنصب وحده لا يجعل الباطل حقًا.

ولو كان كل من جلس على كرسي الحكم واجب الطاعة على الإطلاق...

لما أرسل الله موسى إلى فرعون.

ولما أنكر إبراهيم على النمرود.

ولما واجه الأنبياء ملوك الجور.

إن الله لم يجعل السلطان ميزان الحق...

بل جعل الحق ميزان السلطان.

ثم قال: إنما يُطاع الإمام إذا أقام العدل، وصان الدين، وحفظ حقوق الناس.

فإذا صار أول من يهدم هذه الأصول... فمن الذي يبقى لطاعته؟

فقام رجل آخر، وقال: ولكن··· يقولون: كل خروجٍ على الحاكم يسبب الفتنة.

فقال الإمام: وهل الفتنة أن يُقال للظالم: ظلمت؟

أم الفتنة أن يُترك الظالم حتى يظن الناس أن ظلمه دين؟

إن الفتنة الحقيقية... أن يُلبس الباطل لباس الحق.

وأن يسكت العلماء وأن يخاف الصالحون.

فإذا صار الناس يرون المنكر معروفاً...

فقد وقعت الفتنة، وإن لم يُرفع سيف.

ثم قال: إنني لم أبدأ القوم بقتال.

ولم أخرج لأغزو مدينة.

ولم أستحل دمًا.

وإنما خرجت أرفض أن أكون شاهد زور على باطل.

فقام رجل ثالث، وقال: يا ابن رسول الله... فلماذا صالح أخوك الحسن؟

ولماذا قاتلت أنت؟ أليس الحق واحدًا؟

فابتسم الإمام وقال: بلى... الحق واحد.

ولكن تنزيله على الواقع يحتاج إلى حكمة.

إن الطبيب قد يعطي مريضًا دواءً... ويعطي آخر جراحة.

وليس لأن العلم تغير... ولكن لأن المرض تغير.

ثم قال: لما صالح أخي الحسن... كان في الصلح حقنٌ لدماء المسلمين، مع بقاء الدين ظاهرًا.

وكانت شروط الصلح تكشف للناس حقيقة من نقضها.

فلما مضت الأيام... وجاء يزيد... لم يبق عهدٌ يُحفظ.

ولا خلقٌ يُصان. ولا ورعٌ يُرجى.

وصار المطلوب مني أن أبارك الانحراف نفسه.

فلو فعلت... لما بقي بعد ذلك من يقول للأمة: هذا باطل.

ثم قال: الحسن لم يترك الحق... والحسين لم يطلب الحرب.

وإنما كل واحدٍ منهما سلك الطريق الذي حفظ به الدين في زمانه.

فالصلح كان إصلاحًا حين كان الإصلاح بالصلح ممكنًا.

والرفض كان إصلاحًا حين لم يبق للإصلاح إلا الرفض.

فقام رجل وقال: ولكن... لو أنك بايعت، ثم نصحت يزيد سرًا، أما كان ذلك أولى؟

فقال الإمام: النصيحة تُقال لمن يطلب الحق.

أما من يطلب مني أن أوقع له شهادةً بالشرعية...

ثم أنصحه بعد ذلك... فذلك ليس إصلاحًا، بل خداعٌ للناس.

إن البيعة ليست مجاملة إنها شهادة.

وهل يشهد المؤمن بما يعلم أنه باطل؟

ثم قال: لو بايعت... لاحتج كل ظالمٍ بعد يزيد ببيعتي.

ولصار اسمي جسرًا يعبر عليه الطغاة.

والله ما كنت لأجعل اسم الحسين حجةً على ظلم أحد.

فقام آخر، وقال: يا ابن رسول الله... ما أعظم درسٍ أردت أن تتركه للأمة؟

فوقف الإمام، وقال: أردت أن تعلم الأمة أن الحق لا يُعرف بعدد أتباعه.

وأن الباطل لا يصير حقًا بقوة سلطانه.

وأن المؤمن قد يبقى وحده... لكنه ليس وحيدًا إذا كان الله معه.

وأردت أن يعلم العلماء... أن علمًا لا يمنع صاحبه من قول الحق عند سلطان جائر... علمٌ ناقص الأثر.

وأن الأمة إذا سكت خيارها... تكلم شرارها.

ثم قال: لا تجعلوا خلافكم في التاريخ سببًا لترك العبرة.

فإن كل زمانٍ فيه يزيده... وفيه من يُدعى إلى بيعة الباطل باسم المصلحة.

وكل زمانٍ يحتاج إلى رجالٍ يقولون: إن طاعة الله فوق كل طاعة.

وإن العدل فوق كل سلطان. وإن الحق لا يُباع، ولو اجتمع أهل الأرض على شرائه.

الحوار الخامس

هل خرج الحسين طالبًا للسلطة؟ ومن الذي انتصر في كربلاء؟

وقف رجل، وقد علت نبرته، وقال: يا حسين...إن الناس يعظمون خروجك، ولكني أرى غير ذلك.

لقد كتب إليك أهل الكوفة، وبايعوك، ودعوك لتكون أميرًا عليهم! فسرت إليهم!

أفليس هذا طلبًا للسلطة؟ أفليس حب الحكم هو الذي أخرجك؟ ولو لم تطلب الإمارة لما قُتلت!

فساد المجلس دوي شديد من معارضين ومؤيدين للسؤال ...

ثم رفع الإمام الحسين رأسه، وقال: يا هذا...

إنك خلطت بين من يطلب السلطة لنفسه...

وبين من يُستدعى ليحمل مسؤولية الإصلاح.

فليس كل من قَبِل مسؤوليةً طالبَ دنيا.

وإلا لكان يوسف طالبَ سلطانٍ حين قال: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾.

ولم يكن طالب دنيا، وإنما طلب أن يقيم العدل ويحفظ أقوات الناس.

وكذلك سليمان، وداود، ومن قبلهم من أنبياء الله، كانوا يقيمون العدل بالسلطان إذا تيسر، لا يعبدون السلطان.

ثم قال: نعم... كتب إليَّ أهل الكوفة.

ولم أذهب إليهم حتى كثرت كتبهم، وتتابعت رسلهم، وأقاموا عليَّ الحجة.

فأرسلت إليهم مسلم بن عقيل، ليتحقق من صدقهم.

فلو كنت طالب ملك... لسرت إليهم من أول كتاب.

ولكنني لم أفعل...

ثم قال: واعلم... أنني لم أقل يومًا: أعطوني الملك.

ولم أقل: بايعوني لأجل نسبي، وإنما قلت: "إني لم أخرج أشِرًا ولا بطرًا، ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي." فهل في هذا طلب سلطان؟

فقال الرجل: ولكنك قبلت أن تكون أميرًا لو نجحت دعوتهم.

فقال الإمام: وهل الإمارة في الإسلام غاية؟ أم وسيلة لإقامة الحق؟

لو قامت بغيري ممن يقيم كتاب الله، ويحفظ سنة رسول الله، ويعدل بين الناس... لما نازعته فيها.

إنما أنكرت أن تتحول الخلافة إلى ميراث، وأن يصبح الدين تابعًا للهوى.

فإن وجدت أمةٌ رجلًا يعدل فيها... فذلك فضل الله، لا شهوة سلطان.

ثم قال: يا هذا... اسأل نفسك سؤالًا واحدًا.

لو كنت طالب ملك... فلماذا لم أبايع يزيد، ثم أنتظر الفرصة حتى تقوى شوكتي؟

أليس هذا أقرب إلى سياسة الملوك؟

ولو كنت أطلب الدنيا... لكانت البيعة أقرب طريق إليها.

ولكنني اخترت الطريق الذي أعلم أن آخره الدم.

فأي طالب سلطانٍ يسلك طريقًا يعلم أن نهايته القتل، لا التتويج؟

فسكت الرجل...

ثم قال الإمام: إن طالب الملك إذا رأى أنصاره قد تفرقوا... رجع إلى بيته.

أما أنا... فلما بلغني مقتل مسلم، وخذلان الناس، علمت أن الطريق لم يعد طريق دولة...

بل طريق شهادة... ومع ذلك لم أبدل موقفي. لأن القضية لم تكن قضية عرش... بل قضية حق.

فقام رجل آخر وقال: إذن... من الذي انتصر في كربلاء؟

فقال الإمام: إن كنتم تقيسون النصر بعدد السيوف... فقد غلبني القوم.

وإن كنتم تقيسونه ببقاء الدول... فقد بقي ملكهم حينًا.

أما إن كنتم تقيسونه ببقاء الحق... فاسألوا التاريخ: أيهما بقي؟ يزيد... أم الحسين؟

ثم قال: لقد انتصر يزيد في معركة... وانتصر الحسين في الضمير.

وانتصار الضمير أبقى من انتصار السيف.

فالسيف يملك الأرض زمنًا... أما الحق فيملك القلوب أبدًا.

ثم رفع الإمام يده وقال: لا تجعلوا معيار النجاح أن يعيش الرجل طويلًا، أو يحكم كثيرًا.

فإن نوحًا دعا قومه تسعمائة وخمسين عامًا، ولم يؤمن معه إلا قليل.

وما قال الله إنه فشل.

وإن إبراهيم أُلقي في النار، وما قال الناس يومها: لقد انتصر النمرود.

وإن يحيى قُطع رأسه، وما قال المؤمنون: لقد هُزم يحيى.

وإن زكريا قُتل مظلومًا، وما نقص ذلك من منزلته عند الله.

فميزان السماء غير ميزان الأرض.

إن الله لا يسأل عباده: كم سنة حكمتم؟

وإنما يسألهم: هل صدقتم إذا ابتليتم؟

وهل ثبتُّم إذا خُيّرتم بين الحق والسلامة؟

ثم خفض الإمام رأسه، وقال:

لقد أراد القوم أن يقتلوا رجلاً... فأحيا الله بمقتله أمة.

وأرادوا أن يدفنوا صوتاً... فجعل الله دمه يتكلم في كل جيل.

فمن كان يظن أن كربلاء انتهت يوم عاشوراء... فقد أخطأ.

إن كربلاء بدأت يوم عاشوراء... وما زالت قائمةً في كل زمانٍ يقف فيه الحق أمام الباطل.

الحوار السادس

إذا كنت على الحق... فلماذا خذلك الناس؟

قام رجل اعرابي يبدوا عليه اثر الصحراء وقال بصوتٍ عالٍ: يا حسين...

تقول إنك خرجت على الحق... فلماذا خذلك أكثر الناس؟

أليس الحق يجتمع عليه الناس؟ وأليس الله يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾؟

فكيف تكون أنت على الحق، وأكثر الأمة لم تخرج معك؟

فساد المجلس سكون شديد ...

ثم قال الإمام الحسين: يا عبد الله ... لو كان الحق يُعرف بكثرة أتباعه...

ما قال الله لنبيه: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ولو كانت الكثرة دليل الصواب... لما لبث نوح بين قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم لم يؤمن معه إلا قليل.

أفتقول إن نوحًا كان على باطل لأن أتباعه كانوا قليلين؟

ثم قال: إن الله لم يجعل العدد ميزانًا... وإنما جعل الميزان: الحق.

فقد يكون الرجل وحده أمةً إذا قام لله صادقًا.

فقام رجل آخر، وقال: ولكن... أين كبار الصحابة؟ وأين علماء المدينة؟

وأين القراء؟ وأين الفقهاء؟ لو كنت على الحق، لخرجوا معك جميعًا.

فقال الإمام: وهل صار الناس معصومين من الخطأ ؟

لقد تخلف عن رسول الله ﷺ رجال في مواطن كثيرة.

وفرَّ بعضهم يوم أحد .

وقال قوم لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾.

ولم يجعل الله تخلفهم دليلًا على بطلان موسى.

إن الرجال يُوزنون بالحق... ولا يُوزن الحق بالرجال.

ثم قال: ما كل من عرف الحق ثَبَت عليه.

فمن الناس من منعه الخوف.

ومنهم من منعه الطمع.

ومنهم من التبس عليه الأمر.

ومنهم من صدق ثم عجز.

والله يتولى سرائر عباده.

فقام رجل آخر وقال: ولكن... إذا كنت إمام هدى... فلماذا خذلك أهل الكوفة بعدما بايعوك؟

أليس هذا دليلًا أنهم اكتشفوا خطأك؟

فابتسم الإمام وقال: بل هو دليل على ضعف البشر... لا على ضعف الحق.

إنهم كتبوا إليَّ حتى ملأوا الأرض كتبًا.

ثم لما أقبلت الجيوش... غلب الخوف على كثير منهم، والخوف لا يغير الحق.

إن الرجل قد يعرف الصواب...ثم يعجز عن دفع ثمنه.

ثم قال: أتجعل خذلان الناس حجة على فساد القضية؟

إذن فاجعل خيانة يهوذا دليلًا على بطلان رسالة عيسى!

واجعل عبادة العجل دليلًا على بطلان رسالة موسى!

كلا... وإنما يُحاسب الخاذل على خذلانه... ولا يُحاسب الحق لأنه خُذل.

فسكت القوم.

ثم قام رجل، وقال: يا حسين... إذا كنت تعلم أن الناس سيتفرقون عنك... فلماذا لم تتراجع؟

فقال الإمام: لأن الواجب لا يسقط إذا تركه الناس.

ولو كان الأنبياء ينتظرون كثرة الأنصار... لما قام دين.

إن إبراهيم وقف وحده أمام أمة.

وموسى وقف وحده أمام فرعون.

ويحيى وقف وحده أمام سلطان جائر.

وزكريا بقي يدعو حتى قُتل.

فهل كان ينبغي لهم أن يتركوا الحق لأن الناس تركوه؟

ثم رفع صوته وقال: إن الله لا يسأل عبده يوم القيامة: كم كان معك؟

وإنما يسأله: مع من كنت؟ أكنت مع الحق إذا قل أهله... أم مع الباطل إذا كثر أتباعه؟

فقام رجل، وقال: وهل كنت تظن أن الله سينصرك؟

فقال الإمام: نعم... والله نصرني.

ولكنكم تنظرون إلى النصر بعين الأرض... وأنا أنظر إليه بعين السماء.

إن النصر ليس أن أبقى حيًا... بل أن يبقى الحق حيًا بعدي.

ولو كان النصر هو البقاء في الدنيا... لما مات الأنبياء.

ولما قُتل يحيى، ولما أُلقي إبراهيم في النار.

ولكن الله نصرهم بأن أبقى رسالاتهم... وأذهب مُلك من حاربهم.

وكذلك كانت كربلاء.

ذهب السيف... وبقيت الكلمة.

وسقط العرش... وبقي المبدأ.

ومات الجسد... وبقي الضمير.

ثم نهض الإمام، وقال: لا تجعلوا كثرة الناس ميزاناً للحق... فإن الحق لا يحتاج إلى كثرة ليكون حقًا .

ولا تجعلوا خذلان الناس حجة على الصادقين... فإن الأنبياء خُذلوا، ولم يُبطل ذلك نبوتهم.

واعلموا أن أخطر ما يصيب الأمة...ليس أن يقل أهل الحق... وإنما أن يخجل أهل الحق من قلتهم.

فإذا ثبتوا... كتب الله لهم من البقاء ما لا تكتبه الجيوش ولا السيوف.

الحوار السابع

إذا كان الله قدَّر كربلاء... فلماذا نلوم يزيد ؟

وبينما كان الناس ينصتون، قام رجل تبدو عليه أمارات الجدل، وقال: يا حسين... لقد أكثر الناس من لوم يزيد .

ولكني أقول: إذا كان الله قد كتب ما وقع في كربلاء قبل أن يقع...

فلماذا تذمون يزيد ؟ أليس منفذاً لقضاء الله؟ وأليس كل شيء بقضاء الله وقدره؟

فساد المجلس صمت ...

ثم رفع الإمام الحسين بصره، وقال:

يا شيخ ...لقد سألت سؤالًا ضل به أمم قبلكم.

خلطوا بين علم الله... وبين إجبار الله.

وبين القضاء... وبين الاختيار.

والله سبحانه يعلم ما سيكون... ولكنه لا يجبر عباده على أن يكونوا ظالمين.

ثم قال: أخبرني... أما كان الله يعلم أن إبليس سيعصي؟ فهل أجبره على المعصية؟

أما كان يعلم أن فرعون سيدّعي الربوبية؟ فهل أمره بذلك؟

أما كان يعلم أن إخوة يوسف سيلقونه في الجب؟ فهل أحب لهم الخيانة؟

كلا... علم الله لا يسلب العبد اختياره.

فقام الرجل، وقال: ولكن... لو شاء الله لمنع يزيد .

فقال الإمام: ولو شاء الله لمنع إبليس.

ولو شاء لمنع قاتل يحيى.

ولو شاء لمنع قاتل زكريا .

ولكنه سبحانه جعل الدنيا دار ابتلاء... لا دار إكراه.

وترك للناس أن يختاروا...ثم يحاسبهم على اختيارهم.

ثم قال: إن الله لا يحب الظلم... ولكنه يمهل الظالم.

ولا يرضى بالقتل... ولكنه يبتلي المقتول والقاتل.

فهذا يُرفع بصبره... وذاك يهلك بظلمه.

فقام رجل آخر، وقال: إذن... هل كان يزيد مسؤولًا عن فعله؟

فقال الإمام: نعم... ولو لم يكن مسؤولًا... لما حاسبه الله، ولما قامت الحجة عليه.

إن الله يقول: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ .

فلو كان الإنسان مجبورًا... لما كان للثواب معنى... ولا للعقاب معنى.

ثم قال: إن القضاء لا يعفي الظالم...

كما أن علم الطبيب بأن المريض سيموت... لا يجعل القاتل بريئًا إن قتله.

فالعلم شيء... والفعل شيء آخر.

فسكت الرجل ثم قال: ولكن... أليس الله قد أراد أن تُقتل؟

فقال الإمام: أراد الله أن يبتلي عباده.

ولم يأمر عباده أن يقتلوا أولياءه.

فرقٌ بين أن يقع الشيء في ملك الله... وبين أن يكون محبوبًا لله.

فقد وقع الكفر في ملكه... ولم يحبه.

ووقع الظلم... ولم يأمر به.

ووقع قتل الأنبياء... وكان قاتلوهم من أظلم الناس.

ثم قال: لا تجعلوا وقوع الجريمة دليلًا على رضا الله بها.

فإن الله ابتلى آدم بالمعصية... ولم يأمره بها.

وابتلى إبراهيم بالنار... ولم يحب النار.

وابتلى يوسف بإخوته... ولم يرض بالخيانة.

فقام رجل آخر، وقال: يا حسين... إذن... لماذا لم يدفع الله عنك القتل؟

فقال الإمام: لأن الله لا يغير سننه لأجل كل ابتلاء .

ولو فعل...لما بقي للامتحان معنى .

إن الله ترك فرعون حتى طغى... وترك النمرود حتى تجبر...

وترك قوم يحيى حتى سفكوا دمه... ثم كانت العاقبة للحق .

وليس كل نصرٍ يأتي قبل البلاء... بل قد يكون البلاء نفسه طريق النصر .

ثم قال: إنكم تنظرون إلى عاشوراء... وأنا أنظر إلى ما بعدها .

لقد ظن القوم أنهم قتلوا رجلًا... فإذا بهم يوقظون أمة .

وظنوا أنهم أخمدوا صوتًا... فإذا بالدم يصير خطابًا لا ينقطع .

فقام شيخ، وقال: يا ابن رسول الله... فما الفرق بينك وبين من قتلك؟

فقال الإمام: الفرق بيننا...أنني اخترت طاعة الله وإن كلفتني نفسي .

واختاروا طاعة الهوى وإن كلفتهم آخرتهم .

أنا وقفت بين يدي الله، أقول: ربِّ، لم أبع دينك .

وهم يقفون بين يديه، فيسألهم: بأي ذنب قتلتم ابن بنت نبيكم؟

ثم رفع الإمام صوته، وقال: لا تحتجوا بالقدر على الظلم .

فإن أول من احتج بالقدر على معصيته هو إبليس حين أبى واستكبر .

واعلموا... أن الله كتب المقادير بعلمه...

ولكنه جعل لكل إنسان إرادةً يختار بها طريقه.

فمن اختار العدل... فله العدل.

ومن اختار الظلم... فعليه تبعة ظلمه.

فلا تجعلوا القدر ستارًا للطغاة...

فإن الله لا يرضى بالفساد، ولا يأمر بالفحشاء،

ولا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

الحوار الثامن

لماذا لم تُبايع يزيد تقيةً ثم تُصلح الأمة بعد ذلك؟

وبينما المجلس في سكونه، قام رجل، وقد بدا عليه أنه يرى نفسه صاحب رأيٍ وحكمة، فقال: يا حسين... لقد كنت أعلم الناس بالسياسة، وكان يمكنك أن تبايع يزيد ظاهرًا، ثم تُصلح الأمة بعد ذلك.

أليس هذا أرجح من أن تُقتل أنت وأهل بيتك؟ وأليس حفظ النفس مقصدًا من مقاصد الشريعة؟

فنظر الإمام إليه مليًّا، ثم قال: يا هذا ... لقد ظننت أن الحكمة هي أن ينجو الرجل بنفسه.

والحكمة عند الله...أن ينجو الدين. إن النفس تُحفظ ما دام حفظها لا يضيّع أمانة الله.

فإذا تعارض بقاء الرجل... مع بقاء الحق... قُدِّم الحق.

ثم قال: إن البيعة ليست كلمةً تُقال باللسان إنها شهادة.

فإذا بايعت من أعلم أنه يُفسد الدين... فقد شهدت له بما ليس فيه.

وهل يجوز للمؤمن أن يشهد بالباطل ليحفظ نفسه؟

فقام الرجل وقال: ولكن... إنها تقية والتقية جائزة.

فقال الإمام: نعم... جعل الله للمؤمن فسحةً إذا أُكره على كلمة، وقلبه مطمئن بالإيمان.

ولكن هل كنت مكرهًا على كلمةٍ تُقال ثم أنصرف؟

أم كنت أُدعى لأن أكون ختمًا يضفي الشرعية على سلطانٍ يريد أن يتكلم باسم الإسلام؟

إن بين التقية... وبين تزكية الباطل... بونًا بعيدًا.

ثم قال: التقية تدفع ظلمًا عن مؤمن.

أما أن تتحول إلى جسرٍ يعبر عليه الظالم إلى قلوب الناس... فليست من التقية في شيء.

فقام رجل آخر، وقال: يا ابن رسول الله... لو بايعت... لكنت بقيت حيًا، ولأصبحت مرجع الأمة.

ولعلمت الناس عشرات السنين، أما كان هذا خيرًا؟

فابتسم الإمام، وقال: وهل تظنون أن أعمار الرجال بأيديهم؟

كم من عالمٍ طال عمره... فلم يغيّر شيئًا. وكم من رجلٍ عاش أيامًا معدودة... فغيّر وجه التاريخ.

إن الله لا يسأل العالم: كم سنة عشت؟ وإنما يسأله: ماذا صنعت حين امتحنك؟

ثم قال: لقد كان يمكنني أن أعيش طويلًا... لو بعت موقفي.

ولكن أيُّ حياةٍ تلك...إذا صار الناس يقولون: بايع الحسين، فصار يزيد إمامًا بحق؟

ثم قال: إن موت الجسد أهون... من موت الضمير.

فقام رجل ثالث، وقال: ولكن... كان يمكنك أن تصبر كما صبر غيرك.

فقال الإمام: وهل الصبر أن ترى المنكر فتباركه؟

الصبر أن تثبت على الحق وإن اشتد البلاء.

أما السكوت الذي يجعل الناس يظنون أن الباطل حق... فليس صبرًا، بل خذلانٌ للأمانة.

ثم قال: لقد صبر أخي الحسن حين كان الصلح يحفظ أصل الدين.

ولو كان الصلح يومئذٍ يهدم الدين... لما صالح.

ولكل مقامٍ حكمه وليس من الحكمة أن يُستعمل دواء الأمس لداء اليوم.

فقام شيخ كبير، وقال: يا ابن رسول الله... ألم تكن تخشى أن يقول الناس: إن الحسين هو الذي تسبب في مقتل أهل بيته؟

فسكت الإمام لحظات، ثم قال: يا شيخ ... إن من يحمل هذا السؤال... فليتوجه به أولًا إلى من شهر السيف. فإن اللوم لا يبدأ بالمقتول... وإنما يبدأ بالقاتل.

ما خرجت بأهلي ليقاتلوا، وما حملت طفلًا ليرمي الناس.

وإنما خرجت بأهل بيتي كما خرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره بأهله.

وظننت أن في الأمة بقيةً من حياءٍ من رسول الله.

فإذا بهم يقتلون الطفل، ويمنعون الماء، ويسبون النساء.

فهل يُلام من وثق بأخلاق المسلمين... أم من هدم تلك الأخلاق؟

ثم قال: لقد كشف الله بكربلاء ما كان مستورًا.

فلو لم يقع ما وقع...

لقال الناس: ما كان القوم ليبلغوا هذا الحد .

فأراهم الله الحقيقة حتى لا يبقى لأحدٍ عذر .

فقام رجل، وقال: يا حسين... لو رجع بك الزمان... أكنت ستختار طريقًا آخر؟

فوقف الإمام، وقد علت وجهه سكينة المؤمن، وقال:

لو رجع بي الزمان ألف مرة... ورأيت أن بيعةً واحدةً مني ستجعل الظلم دينًا، والفسق خلافةً، والباطل سنةً... لرفضتها ألف مرة.

إن الرجل قد يخسر عمره... ولكنه يربح آخرته.

وقد يخسر دنياه... ولكنه ينقذ أمة.

وما خُلقت لأحفظ نفسي... وإنما خُلقت لأؤدي أمانتي.

ثم التفت إلى الحاضرين جميعًا، وقال: إن أعظم الخسارة ليست أن يموت الإنسان.

وإنما أن يعيش حتى يموت الحق في قلبه.

وإن أعظم النجاة ليست أن ينجو الجسد . وإنما أن ينجو الدين من التحريف.

فإذا خيركم الناس يومًا بين السلامة مع الباطل... وبين الأذى مع الحق...

فتذكروا أن الله لا يسأل يوم القيامة: كيف نجوتم؟

وإنما يسأل: كيف شهدتم للحق؟ وكيف حفظتم الأمانة؟

الحوار التاسع

ساد المجلس صمتٌ لم يعرفه الناس من قبل...ثم قام رجل، وقد اختلطت في قلبه الحيرة بالألم، وقال: يا أبا عبد الله... لقد مضت القرون... وما زال الناس يختلفون فيك. ففريقٌ جعل ذكراك كل عام دماءً، وسيوفًا، وتطبيرًا، ولطمًا، وصورًا ينفر منها كثير من الناس، حتى صار بعضهم إذا ذُكر الحسين لم يتذكر علمك، ولا أخلاقك، ولا جهادك، بل تذكر الدماء والمظاهر.

ويقولون: هذه هي محبة الحسين فما قولك لهم؟

تحدث الأمام والحزن في عينية ثم قال: والله... ما دعوت الناس يومًا إلى أن يجرحوا أجسادهم... وإنما دعوتهم أن يداووا قلوبهم. وما خرجت لِيُراق دم محبٍّ بعد دمي... وإنما خرجت لِيُحقن دم المسلم.

وما سال دمي ليكون شعارًا... بل ليكون إنذارًا.

إن أحب الناس إليَّ... من إذا ذكر الحسين... تذكر العدل.

وإذا ذكر كربلاء... تذكر الصبر.

وإذا بكى... حمله بكاؤه على إصلاح نفسه.

أما دموعٌ لا تُغيِّر خلقًا... ولا تمنع ظلمًا... ولا تُقيم حقًا...

فما أقربها إلى العادة... وما أبعدها عن الرسالة.

ثم قال: إن الجسد الذي كرّمه الله... ليس طريقًا إلى محبتي أن يُهان.

وإن الرؤوس التي سجدت لله... لم تُخلق لتُضرب.

وإن الوجوه التي أمر الله أن تُرفع إليه في الدعاء... لا أحب أن تُلطَم لأجلي.

إن أحبَّ الناس إليَّ... من حفظ حدود الله وأقام الصلاة

وأدّى الأمانة وعدل بين الناس وكفَّ لسانه عن المسلمين.

فذلك هو العزاء الذي يسرني.

ثم قام رجل آخر، وقال: يا ابن رسول الله... ولكن هناك فريقًا آخر...

يقول: لا تذكروا كربلاء. ولا تتحدثوا عن عاشوراء. ولا تعرفوا وتعلموا أبناءكم ما جرى للحسين.

يكفي أن نقول: الحسين سيد شباب أهل الجنة... وتظهر المحبة والتقدير ...

ثم نطوي الصفحة فما قولك فيهم؟

فنظر الإمام إليه طويلًا، ثم قال: وهل تُطوى صفحات العبرة؟

إن الله لم يقص علينا أخبار الأنبياء... لنحزن عليهم فقط.

وإنما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾.

فإن كانت قصة موسى تُقرأ كل عام...

وقصة إبراهيم تُتلى كل يوم...

أفلا تُذكر كربلاء، وهي مدرسةٌ في الصدق والثبات؟

اذكروا كربلاء...ولكن اذكروها كما أرادها الله... لا كما صنعتها الأهواء.

ثم قال: لا تجعلوا عاشوراء موسم خصومة...

بل اجعلوه موسم مراجعة.

راجعوا فيه أنفسكم.

فإن وجدتم مظلومًا... فانصروه.

وإن وجدتم ظالمًا... فخذوا على يده.

وإن وجدتم فرقةً بين المسلمين... فأصلحوا بينها .

فذلك أقرب إلى الحسين... من ألف مجلسٍ لا يغيِّر قلبًا .

فسأله رجل ثالث: يا ابن رسول الله... إذن... كيف تريدنا أن نحيي ذكراك؟

فوقف الإمام، وقد امتلأ المجلس هيبةً وسكينةً، وقال:

إذا جاء عاشوراء... فاقرؤوا كتاب الله وأحيوا سنة جدي.

واذكروا مظلومية أهل بيتي بالصدق، لا بالمبالغة.

وابكوا إن غلبتكم الرحمة... فإن رسول الله ﷺ بكى عليَّ قبل أن أُقتل.

ولكن لا تجعلوا البكاء نهاية الطريق... بل بدايته.

فمن بكى ثم ظلم... فما عرف الحسين.

ومن بكى ثم خان... فما عرف الحسين.

ومن بكى ثم فرّق الأمة... فما عرف الحسين.

ومن بكى ثم نصر المظلوم، وحفظ الأمانة، وصدق مع الله... فقد عرف الحسين وإن لم يره.

ثم رفع الإمام بصره إلى السماء، وقال: لا تجعلوني سببًا لفرقتكم...

ولا تجعلوا اسمي سلاحًا يطعن به بعضكم بعضاً.

فمن أحبني... فليحب أخاه المسلم.

ومن والاني... فليتق الله في لسانه ويده.

ومن بكى عليَّ... فليمسح دمعة يتيم

وليطعم جائعًا وليصلح بين متخاصمين.

وليأمر بمعروف ولينه عن منكر.

فوالله... ما خرجت لأصنع طائفة... ولا لأورث الناس خصومة.

وإنما خرجت لأعيدهم إلى الله.

فإذا أصبح اسم الحسين يقربكم من القرآن... فقد عرفتم الحسين.

وإذا أبعدكم عن القرآن... فما عرفتموه، وإن أكثرتم من ذكر اسمه.

الحوار العاشر والأخير

سكن المجلس سكونا طويلا لا أحد يتكلم بعدما اجاب الامام الحسين كل ما في نفوسهم من غشاوة ومن أمور لم يستطيع أحد الرد عليهم الا الامام الحسين . . .

فوقف الامام الحسين يوجه رسالة فقال: يا معشر المسلمين في الزمان البعيد سنة كانوا ام شيعة او غير ذلك اليكم رسالتي . . .

يا أمة جدي محمد ﷺ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد...

فوالله ما أحزنني أن قتلني أعدائي... فقد كنت أعلم أن طريق الحق محفوف بالبلاء.

ولكن الذي يحزنني بعد مضي القرون... أنكم اختلفتم في دمي أكثر مما اجتمعتم على رسالتي.

يا أهل السنة...

إن كنتم تحبون جدي رسول الله ﷺ... فأكرموا أهل بيته.

ولا تجعلوا الخلاف في التاريخ سببًا لجفاءٍ نهى عنه رسول الله ﷺ.

اذكروا كربلاء بإنصاف وارحموا آل بيت نبيكم.

ولا تسمحوا لأحد أن ينتقص من مقامهم، أو يستخف بعلمهم، أو يقلل من تضحياتهم.

فوالله... ما خرج الحسين طالب دنيا... ولا عاشق سلطان... وإنما خرج يريد أن يبقى الدين دينًا .

ويا أهل السنة... إذا أحببتموني... فليس حبكم أن تذكروا اسمي في يومٍ ثم تنسوا منهجي بقية العام.

بل أحبوني بإقامة العدل.

وحفظ الأمانة.

ونصرة المظلوم.

والرحمة بالخلق.

والتمسك بكتاب الله، وسنة جدي.

ويا أهل الشيعة...

إن كانت دموعكم صادقة... فاجعلوا أعمالكم أصدق منها .

لا تجعلوا الحسين حزنًا لا ينتهي... بل اجعلوه إصلاحًا لا ينقطع.

لا تجعلوا اسمي سببًا لفرقة المسلمين... ولا رايةً للتعصب...

ولا وسيلةً للطعن في من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ولا ترفعوني فوق منزلتي... فإني عبدٌ لله... وابن عبدٍ لله...

وشرفتني طاعة الله، لا شيء غيرها .

ولا تجعلوا محبتي تغني عن العمل.

فوالله... لو أحبني رجل، ثم ظلم الناس... ما نفعه حبي.

ولو بكى عليَّ عمره كله، ثم ضيع الصلاة، وخان الأمانة، وأكل أموال الناس بالباطل... ما عرف الحسين.

ويا أهل الإسلام جميعًا...إن القرآن هو الإمام الأكبر وسنة محمد ﷺ هي الطريق الأقوم.

وأهل بيته مصابيح هدى، يُقتدى بعلمهم وورعهم، ويُعرف بهم صدق الاتباع، لا يُعبدون، ولا يُغلى فيهم، ولا يُجفَون.

فلا تجعلوا التاريخ يحكم القرآن.

بل اجعلوا القرآن يحكم التاريخ.

ولا تجعلوا الرجال ميزان الحق.

بل اجعلوا الحق ميزان الرجال.

واعلموا...

أن كل دمعةٍ لا تمنع ظلمًا... ناقصة.

وكل محبةٍ لا تُثمر خلقًا... ناقصة.

وكل علمٍ لا يقود إلى العمل... ناقص.

وكل عبادةٍ تُفرق الأمة... تحتاج إلى مراجعة.

لقد خرجت لأقيم الإصلاح... فلا تجعلوا ذكراي سببًا للفساد.

وخرجت لأجمع الأمة على الحق... فلا تجعلوا اسمي رايةً للفرقة.

وخرجت لأقول للطغاة: لا... فلا تجعلوا كربلاء مجرد قصةٍ تُروى...

بل اجعلوها ضميرًا حيًا، يقف مع الحق، ويأبى الظلم، ويحفظ كرامة الإنسان.

يا أبناء أمتي...

إذا أردتم أن تكرموا الحسين... فأكرموا القرآن.

وإذا أردتم أن تنصروا الحسين... فانصروا المظلوم.

وإذا أردتم أن تواسوا الحسين... فأصلحوا ذات بينكم.

وإذا أردتم أن تسيروا مع الحسين... فسيروا مع الحق حيث كان.

فإن الحق لا يُعرف بالحسين... ولكن الحسين عُرف لأنه كان مع الحق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخاتمة . . .

انتهى المجلس وانتهت معه الأسئلة . . .

ولكنني وجدت نفسي أقف بين يدي سيدي الامام الحسين وأقول له . . .

سيدي يا أبا عبد الله... جلست بين يديك، أصغي إلى حكمتك، وأتأمل ثباتك، وكأن القرون قد انزاحت، وكأن كربلاء ما زالت تنبض بالحق.

تعلمت منك أن الحق لا يُقاس بكثرة أتباعه، ولا بقوة سلطانٍ يحكم، بل بصدق الموقف حين يشتد البلاء .

وعلمت أن العلم ليس كلماتٍ تُحفظ، بل مواقف تُحيي الضمائر، وأن الرجل قد يكتب بقلمه سنين، ثم يكتب بدمه كلمةً تبقى ما بقي الزمان. لقد فهمنا ، يا سيدي، لماذا خرجت.

ولم تخرج طلبًا لملك، ولا تنافسًا على سلطان، ولا رغبةً في دنيا ، وإنما خرجت لتمنع أن يُلبس الباطل ثوب الحق، وأن يُتخذ دين جدك مطيةً للظلم.

واليوم... لا تكاد بقعةٌ في الأرض إلا وقد بلغها اسم كربلاء، وعرفت أن الحسين لم يكن طالب دنيا ، بل كان صاحب رسالة، وأن دماءه لم تُرق لتفرّق الأمة، وإنما لتوقظ ضميرها .

فجزاك الله، يا سبط رسول الله، عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

ونسأل الله أن يجعلنا ممن أحبك باتباع منهجك، لا بمجرد الدعوى، وممن اقتدى بعدلك، وصبرك، وصدقك، وإخلاصك لله.

هذا هو السلام الذي نحمله إليك...

سلامُ محبٍّ عرف قدرك، وأدرك رسالتك، ودعا الله أن يجمعه بك، وبجدك رسول الله ﷺ، وبالصالحين من آل بيته وأصحابه، في جنات النعيم، وأن يسقينا من حوض نبيه الكريم ﷺ شربةً هنيئةً لا نظمأ بعدها أبدًا ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

فهرست الكتاب

الحوار الرابع **24-**

أليس يزيد ولي أمر؟

أليس كل خروجٍ على الحاكم يسبب الفتنة؟

فلماذا صالح أخوك الحسن؟

ولماذا قاتلت أنت؟ أليس الحق واحدًا؟

لو أنك بايعت، ثم نصحت يزيد سرًا، أما كان ذلك أولى؟

ما أعظم درسٍ أردت أن تتركه للأمة؟

الحوار الخامس **29-**

هل خرج الحسين طالبًا للسلطة؟ ومن الذي انتصر في كربلاء؟

الحسين قبل أن تكون أميرًا للأهل الكوفة لو نجحت دعوتهم؟

الحوار السادس **33-**

إذا كنت إمام هدى... فلماذا خذلك أهل الكوفة بعدما بايعوك؟

أهذا دليلًا أنهم اكتشفوا خطأك؟

أين كبار الصحابة؟ وأين علماء المدينة؟

وأين القراء؟ وأين الفقهاء؟ لو كنت على الحق، لخرجوا معك جميعًا؟

يا حسين... إذا كنت تعلم أن الناس سيتفرقون عنك... فلماذا لم تتراجع؟

هل كنت تظن أن الله سينصرك؟

الحوار السابع **38-**

إذا كان الله قدَّر كربلاء... فلماذا نلوم يزيد؟

لو شاء الله لمنع يزيد؟

هل كان يزيد مسؤولًا عن فعله؟

أليس الله قد أراد أن تُقتل؟

لماذا لم يدفع الله عنك القتل؟

فما الفرق بينك وبين من قتلك؟

الحوار الثامن **43-**

لماذا لم تُبايع يزيد تقيةً ثم تُصلح الأمة بعد ذلك؟

إنها تقية والتقية جائزة؟

لو بايعت... لكنت بقيت حيًا، وأصبحت مرجع الأمة؟